مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 375– 391
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

أهلية الرسمية للغة العربية في أفريقيا: تأريخ وتأصيل

Eligibility of Arabic Language as the Lingua Franca in Africa: History and Rooting

الدكتور: كمال الدين المبارك علي[1]، الدكتور: بولاجوكو عبد الوهاب أفولبي [2]
Kamaldeen Al-Mubarak Aliyu [1], Bolaji Abdulwahab Afolabi [2]
1 المحاضر بجامعة الحكمة، إلورن، (نيجيريا)، aliyualmobarak@yahoo.com
2 المحاضر بشعبة اللغة العربية، قسم الدراسات العامة، معهد القوات الجوية لتكنولوجيا، كدونا (نيجيريا)، bolab2020@afit.edu.ng

تاريخ الاستلام: 2022/05/21	تاريخ القبول: 2022/07/07	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص

تعدّ القارة الأفريقية من أعرق القارات العالمية ثقافة، وديانة، ولغة، ودراسة، وكان من أبرز لغاتها العربية، والفرنسية، وسواحلية، وهوساوية، ويوربا، وفلاتية وغيرها نظرًا لكثرة المتكلمين بها، والدور الذي أدّاه كلّ من تلك اللّغات وشعوبها في تطوّر القارة. ولأجل توطيد العلاقة الدبلوماسية وغيرها بين أمم القارة، رأى مجموعة من المفكرين الأفريقيّين اختيار إحدى هذه اللغات الثلاث، العربية والهوساوية والسواحلية، لغة رسمية، فاتفقوا على اختيار السواحلية في مؤتمرهم المنعقد في الجزائر سنة 1975م، إلا أن كاتبي هذه المقالة يريان أنهم غير موفقين في هذا الاختيار وأن أحقية تلك الرسمية للغة العربية. فلهذا، تدرس هذه المقالة تلك الأهلية الرسمية المعلوماتية، وفي الخاتمة، تم الإثبات بالحجج والاعتناء للناحية التاريخية أن العربية هي المستحقة بتلك الرسمية في القارة بدرجة عالية حوالي (95%)، فنقترح أن يراجع أولئك المفكرون ذلك الأمر فيختارون العربية بدلا عن غيرها.

الكلمات المفتاحية: أهلية، لغة رسمية، اللغة العربية، أفريقيا، تأريخ، تأصيل.

Abstract: African Continent is deeply-rooted in culture, religion, language and education. Prominent among its languages are: Arabic, French, Swahili, Hausa, Yoruba, Fulfulde. To enhance diplomatic relation between the speakers of these languages, some African thinkers at a conference held in Algeria in 1975, adopted Swahili over Arabic and Hausa as a Lingua franca. However, the authors of this paper believe this decision is erroneous. Arabic language is appropriate for the position. The paper therefore, aimed at studying the eligibility of Arabic language to be the Lingua franca in Africa. It was established, with linguistic and historical evidences that Arabic deserved to be the Lingua franca of Africa with high degree of 95% over others. It is recommended that the thinkers should rekindled their decision and choose Arabic as the Lingua franca of Africa.

Keywords: Eligibility, Arabic Language, Lingua Franca, Africa, History and Rooting.

المؤلف المرسل: د.كمال الدين المبارك علي ، **الإيميل**: aliyualmobarak@yahoo.com

مقدمة

تتمتّع العربية بين لغات القارة الأفريقية بمكانة مرموقة من حيث الأصالة المكانية وكثرة المتكلّمين بها في البيئات العربية الأصيلة أو المصطنعة التي عُرِفَت العربية من خلال الوفود العربية التجارية القديمة بطرق مختلفة كما ذكرها بوبيل(Bovill, 1958) ، وفيج(Fage, 1958) من سجلماسة إلى ولات، ثم بلاد السنغال، وأعالي نهر نيجر، ومن غدامس إلى بلاد الهوسا عن طريق غاط وأهير، ومن طرابلس إلى برنو وتشاد من خلال فزان وكوار، وغيرها من الطرق، منذ حوالي القرن السابع الميلادي (غلادنثي،، 1414هـ/1993م)، أي قبل دخول الإسلام فيها، ومن أمثال هذه البيئات المصطنعة نيجيريا، وغانا، وتمبكتو، ومالي، ونيجر، وسنغال، وتشاد، وغيرها، ويفهم من ذلك كلّه أنّ دخول العربية في بقية دول القارة غير العربية اللسان أسبق بكثير من تاريخ الدولة الاستعمارية الإنكليزية في بعضها والفرنسية في بعضها الآخر بله الدول العربية منها،

هذا، ولقد رحّبت تلك البيئات العربية الأفريقية المصطنعة باللغة العربية ترحيبًا كبيرًا فتغلّبت على لغاتهم المحلية لاتخاذهم إيّاها لغة التعليم، والخطابة، والكتابة، والسياسة، كما أكّد ذلك هنويك الإنجليزي (Hunwick, 1964) بأنه "صارت العربية تستخدم في مجالات متعدّدة في القرن التاسع عشر الميلادي، وخاصة في نيجيريا وجنوب أفريقيا، فمن تلك المجالات: المراسلة، والسياسة، والبحث، والدراسة، ونصيحة الأمراء، والتاريخ، وعلم المجتمع، والتربية"،

واشتدّ رواج العربية في هذه القارة منذئذ، وخاصة عند غير العرب من أهل جنوب القارة وشرقها حتّى كتبوا آدابهم ولغاتهم المحلية بالأصوات العربية كالسواحلية، والهوساوية، ويوربا، وفلاتية، يقول ريشاد لندا الإميركي (Richard Lander) في بحث كتبه عقب زيارته لبلاد يوربا في نيجيريا بين عام 1825–1826 الميلاديين:

> "هناك بعض المعلّمين من الهوساويّين الذين كانوا يسكنون معظم الأماكن التي يمرّون بها، وكان هؤلاء المعلّمين في تلك البلاد والأماكن ينشرون دينهم ويعلّمون سكانها بالعربية فمن قبيل ذلك أدخل الإسلام في البلاد، أمثال: أويو، وأوبوماشو، وإكويي، وإسيين، وإبوحو، وباداغري في بداية القرن الماضي تقريبًا" (Bidmus, 1972, pp. 3-4)

وأما رواجها في شرق أفريقيا ما يقول تولماشفيا (Tolmachera, 1978, p. 224) في بحثه "هناك دليل على أن التعلم دخل شرق أفريقيا مباشرة بعد الهجرة، لكنّ ذلك كان موقوفًا على الكتابات الدينية بالعربية"، ويبدو من خلال ما سبق أن للعربية دورًا فعالا في أفريقيا وتطويرها من عدة نواح، والذي يظهر سيادتها وعظمة أهميّتها، بما يشعر

أنها تستحقّ الرسمية بين لغات القارة بالاستناد إلى الحجج الآتية في صفحات البحث، هذا، وتدرس المقالة تلك الأهلية للعربية بدراسة العناصر التالية:

أفريقيا وعلاقتها باللغة العربية،

الثقافة العربية في القارة الأفريقية،

دور اللغة العربية في تسجيل المعلومات في أفريقيا،

أثر اللغة العربية في بعض لغات أفريقيا المحلية،

لمحة عن أفريقيا

تعدّ أفريقيا ثاني أكبر القارات العالمية بعد آسيا من حيث المساحة الأرضية وعدد السكان حيث تبلغ مساحتها 2،30 مليون كلومتر مربع يعني 7،11 مليون ميل مربع، ويدور عدد سكانها حول حوالي 3،1 مليار نسمية وفق تقديرات العام 2016م، وكان نسبتهم المائوية من سكان العالم 8،14% (سير، 1999م)، وبدراسة الخريطة يوجد أنه يحدّ القارة من الشمال البحر المتوسّط، وتحدّها قناة السويس، والبحر الأحمر من جهة الشمال الشرقي، بينما يحدّها المحيط الهندي من الجنوب الشرقي والشرق، والمحيط الأطلسي من الغرب، وتبلغ دول القارة خمسين دولة باعتبار مجموعة الجزر التابعة لدولة جزر القمر وجزيرة مدغشقر، والتي تعدّ أحيانا ملحقة بالقارةوكانت الجزائر أكبر هذه الدول الأفريقية حيث تبلغ مساحتها 741، 381،2 كلومتر مربّع، وتليها جمهورية الكنغو الديمقراطية بدرجة 410،865،3 كلومتر مربع كذلك، ثم السودان بدرجة 813،865،1 كلومتر مربّع، بينما كانت غامبيا أصغر تلك الدول الرئيسة الداخلة في جغرافية القارة بخلاف المجموعات اللاحقة بها، في حين تعتبر نيجيريا أكبرها من حيث كثرة عدد سكانها،

وتضمّ القارة عددا غفيراً من العرقيات، والثقافات، فمن إحدى عرقياتها اشتقّ اسم "أفريقيا"، ويقال بأنّ كلمة "أفري" تطلق على العديد من البشر الذين كانوا يعيشون في شمال أفريقيا بالقرب من قرطاج، وأنه يمكن إرجاع أصلها إلى الفينيقية حيث تعني "أفار" معنى "غبار" ويؤكد رأي آخر أنها نشأت من الكلمة الأمازيغية "إفري أو إفلان" بمعنى "الكهف"، وأن ذلك الاسم "أفريقيا" يشير إلى بني يفرن الأمازيغية التي تعيش في المساحة ما بين الجزائر وطرابلس.

فجميع دول أفريقيا السبعة والثلاثين الرئيسة تتبعثر في ربوع القارة الجغرافية الأربع، ثمانية عشرة منها في الشرق فمنها: مالاوي، وموزنبيق، وزامبيا، والصومال، وتنزانيا وأخواتها، وتسع منها في الوسط، أمثال: تشاد، وأنغولا، وجمهورية أفريقيا الوسطى، والكاميرون وأخواتها كذلك، ثم ثمان في الشمال كالجزائر، ومصر، وليبيا، والمغرب، والسودان، وغيرها، بينما توجد أربعة منها في الجنوب، وهي: بوتسوانا، وليسوتو، وناميبيا، وإستواتيني، كما توجد

سبع عشرة دولة منها في الغرب كنيجيريا، وبنين، ونيجر، وساحل العاج، وموريتانيا، وغانا، وليبيريا، وغيرها، وتكتظّ القارة باللغات المتنوعة التي يذكر أنها ألف وخمسمائة أو قرابة ألفين، إلا أنّ أشهرها عربية، وفرنسية، وهوساوية، ويوربا، وفلاتية، وإيبو.

علاقتها باللغة العربية

كانت للقارة الأفريقية علاقة وطيدة باللغة العربية قُبيل دخول الإسلام فيها، فقد جذبت خصبة أفريقيا التجارية معظم الأجانب الوافدين إليها أولاً من القرطجانين ثم العرب، (Bovill, 1958) وكانت ياقوت أفريقيا الجمري الذي عرّفها القرطجانون للعالم يصبح مشهورًا في أسواق أوروبا، وكذلك كانت مجاورة بعض الدول الأفريقية ومحاذاتها لشبه الجزيرة العربية نقطة مهمة في تلك العلاقة، كما كان لثورة الجنوب العربي الزراعية دور مهم في ازدهار سلامة خروج الأفارقة إلى الجنوب العربي وسلامة مرور الناس دخولاً وخروجًا من المكان، وخاصة أثناء قيادة الملكة بلقيس في السبأ وشأن ملاقاتها نبي الله سليمان –عليه السلام–، وقد انتفعت بعض الدول الأفريقية من تلك المجاورة، أمثال: سودان، وإيتوبيا، وصومال، وغيرها، وكذلك نجا العرب من الانقراض بالهجرة إلى الشمال بعد سقوط الخزان في اليمن،

وقد بدأت حالة انتشار العربية وشيوعها تتقوى مع مجيء الإسلام واختيار العربية لغة رسمية لجميع بلاد المسلمين، وصارت تستعمل في جميع دول شمال أفريقيا بدلاً عن الإفريقية التي كانت لغتها الرسمية من قبل، ومن قبيل ذلك اشتهرت فصارت اللغة الأمّ لمعظم الإفريقيّين، والرومانيّين، والبرابرة، ولا يعني ذلك أنّهم كانوا ينطقونها على مستوى إدماجها بأي لغة أجنبية أو دارجة، بل كانوا ينطقونها عربية فصيحة ومبينة، وكانت أساسًا لمختلف اللهجات البيئية والجغرافية في تلك الدول، مثل: موريتانيا في جنوب أفريقيا، وبدخول الإسلام إلى أوروبا تعوّضت العربية عن الإفريقية في إسبانيا، وجنوب البرتغال، وكان المسلمون والنصارى يستعملون العربية في كلّ نواحي محاولاتهم وأعمالهم الفكرية، (Moon, 1984)

صادف القرن التاسع عشر الميلادي ازدهار التعلم عبر اللسان العربي في مراكز العالم الخمسة، وأتت بغداد التي هي عاصمة الدولة العباسية بمركز الترجمة سنة 832 لهدف القيام بترجمة التراث العلمي الموروث من قِبل الحضارات السابقة، وكان هذا متوقفًا على تحويل أربعين ألف دينار الذي قدّمه إبراهيم بن أغلب مؤسّس الدولة الأغلبية بين 800–900م، وكانت هذه السلطة الثانية التي استقرّت في شمال غرب أفريقيا هي التي أسّست جامعة القيروان في الفاز بالمغرب، وكذلك أسّس الفاطميّون في مصر بشمال شرق أفريقيا جامعة الأزهر الشريف في

القاهرة، وكانت القرطبة في أوروبا مركز التعلم، وكذلك يتمتّع مسجد سنقري في أفريقيا، ثم الهجرة في غرندا التي هي مسجد القرطبة، وسيفيل، ومدينة الزهرة بقرب القرطبة، كانت كلّها جميعًا مراكز التعلم في الأندلس،

وقد كانت العربية في كلّ هذه الأماكن لغة البحث، والتعليم، والتأليف، وكان تطوّر المصطلحات العربية في كلّ فنون العلوم الطبيعية باللغات الإروبية يؤيّد الاحتجاج المشار إليه في هذا البحث، أمثال: الرياضيات، والكيمياء، والفيزياء، والطب، ثم علم النبات،(Abubakre, 2001)

دخلت العربية وحاملها الدين الإسلامي غرب أفريقيا مع العلماء المسلمين التجار، (Lewis, 1966, p. 33) عبر الصحراء الكبرى عن طرق التجارة إلى سجلماسة في المغرب، وإلى مورتانيا، وحوض السنغال، والطريق الآخر هو سجلماسة إلى تغجازة عبر تودیني إلى نيجر، ثم تونس إلى طرابلس، عبر غدامس، فمنه إلى كشنه ثم إلى كنو في نيجيريا، أمّا طريقهم في قطاع الشرق فيبدأ من فيزان في ليبيا الحديثة مرورا بكانم–برنو، وتشاد، أو من مصر إلى دارفور وإلى وديي فمنها إلى كانم برنو كما ذكر ليوس ، (صالح، 1976م، الصفحات 62–63)

إضافة إلى ذلك، فقد ذكر بأن العرب هاجروا من دمشق وقت خلافة الخليفة الإسلامي عمرو بن عبد العزيز إلى كانم برنو (Hiskett, 1984, p. 61)كما ذكر التاريخ بأن عالمًا اسمه محمد بن مان رحل من فاز إلى نيجيريا سنة 1067م، وكان يعلّم كثيرا من مسلمي برنو وأمرائهم النصوص العربية، وذلك قبل تولية حومي جلمي الإمارة سنة 1097–1085م(Hiskett M. , 1984) ، وكذلك كان لإسلام أمير كنو حينئذ (ياجي) سنة 1385–1349م دور كبير في تشجيع العلماء المعلّمين، فمن أولئك العلماء القضاة، والسكرتير، ونواب الحكومة مع كونهم أساتذة اللغة العربية لأبناء المدينة (Levtzion, 1979, pp. 75-76) ، ومن أولئك العلماء عبد الكريم المغيلي من طلمسان في الجزائر، وجلال الدين السيوطي من مصر، وابن المغيلي عائدة أحمد التزاكتي، وأحمد عاقط الذي هو جدّ لأحمد بابا التمبكتي، وأحمد بابا نفسه، ثم محمد بن مصنح الكشناوي، على حدّ قول ديريمي أبوبكر .Abubakre R) (D., 2002 ولم يسأم أولئك العلماء المعلّمون بعملية تدرس العربية بل واصلوها حتى وصلوا بلاد يوربا بجنوب نيجيريا، وخاصة العاصمة القديمة لمدينة أويو حيث لازموها حتى بنو فيها مسجداً سنة 957هـ–1550م

(Ibid & R.C.C Law, 1977)

الثقافة العربية في القارة الأفريقية

يتفق شأن العربية في أفريقيا وخاصة في الشرق والغرب عادة مع شأنها في استصحاب الدين الإسلامي في دخولها معه في أيّ بلد أو بقعه حلّ فيها لتقديمه التعاليم الدينية باللغة العربية، فبذلك تتمكّن وتتقوّى فيعكف الناس على تعلمها باعتبارها جزءًا لا يتجزّأ عن الإسلام، فحملهم ذلك على تقديسها والاحتفاظ بها، وقد أرست ذلك البلورة

القرآنية ونيافة الحديث النبوي الشريف الذي ورثه الإسلام من قديم الزمن حتى العصر الأموي الذي جعل العربية لغة رسمية لجميع البلاد الإسلامية المفتوحة، فأسرعت بعض الأقاليم الأخرى باقتدائه بجعل العربية لغة الدين، والتجارة، والحكومة، وتوسّع ذلك من شمال أفريقيا إلى إسبانيا ثم إلى وسط وشرق أفريقيا، فمن هناك تآلق الناس بالعربية في تركيا بشمال أوروبا، ثم في الهند، وإندونيسيا، وماليزيا، والصين في الشرق الأدنى،

وقد كانت للغة العربية إسهامات علمية كبيرة في حضارات غرب أفريقيا حيث كانت أول صورة علمية بمسافة طويلة من دخول الدولة الاستعمارية فيها، فكثير من لغات غرب أفريقيا أمثال: سواحلية، ومانديكية، وهوساوية، وفلاتية، ويوربا كانت تكتب حينئذ بالحروف العربية قبل استهلال اللاتينية، وتعرف تلك الطريقة بـ"الأعجمي"، ودليل على ذلك قول الأستاذ الدكتور حمزة السيد في محاضرته نقلا عن بويبدوماك ما نصّه: "لم تزل هوساوية، وفلاتية حتى القرن العشرين تكتب بهذه الثقافة الإسلامية ،(Sayed, 1999, p. 10) فألّفت بعض الكتب، والجرائد، والكتيبات في اللغة الهوساوية بالعربية، ومما ساعد على هذه الحركة ما قام به مؤسّسة (إسيسكو) بالمغر من تشجيع استعمال الحروف العربية في كتابة لغات المسلمين اختير خمس عشرة لغة من شرق أفريقيا وغربها والتي منها يوربا، وهوساوية، وفلاتية، فصنع آلات الطباعة الخاصة لكتابة الرموز المختارة للكتابة الأعجمية، وكانت ثلاثة من تلك الأجهزة في قسم الدراسات العربية والإسلامية بجامعة إبادن في نيجيريا،(Sayed, 1999, p. 10) وجدير بالذكر أنّ هذه اللغات الأفريقية لم تعرف طريقة القراءة ولا الكتابة قبل العربية بله وجود الحروف الألفبائية، وهذا الذي أكّد رغبتها في تعلم العربية التي كانت عندها الثقافتان القرائية والكتابية،

ويضاف إلى شيوع العربية ورسخوتها في غرب أفريقيا ما سرد بعضهم من قصة زيارة أستاذ دكتور أميريكي لإحدى دول غرب أفريقيا سابقًا، فبينما كان ذلك الأستاذ الأميريكي يتكلّم بكل الإعجاب عن الثقافة العلمية في أفريقيا بدأ رئيس تلك الدولة يتعجب من ذلك فسأل ذلك الأستاذ الدكتور عن الحجة لذلك، فطلب منه الأستاذ أن يأذن لبعض حاشيته وعماله للكتابة، فلم يستطع أولئك الحاشية والعمال على الكتابة بالإنكليزية ولا اللاتينية، وعندما أصّر الأستاذ الدكتور على أن يكتبوا شيئًا فكتب كلّ اسمه بالعربية (Bakala, 2002, p. 18)

وقد كان لشدة شهرة العربية منذئذ حتى القرن التاسع عشر أثر بيّن في مشاركة النساء مع الرجال في دراستها والتأليف فيها في مختلف الفنون العلمية، فقد ذكر الباحثون السابقون تلك الجهود الجبارة التي بذلوها ساعتئذ، ذكر بفا وحسكيت (Biva, A.D. and Hiskett, M, 1962, pp. 104-108) في بحثهما خمسة وأربعين (45) مؤلفًا عربيا مكتوبًا بأقلام العلماء النيجيريّين سنة 1804م ، وذكر الأستاذ الدكتور السيد حمزة بأن كينسديل (Kersdale, 1962) نشر قائمة المخطوطات العربية المحتفظة بها في مكتبة كينث ديكي (Kenneth Dike

Library) بجامعة إبادن (Sayed, 1999, p. 17)، وكذلك ذكر بالوغن (Kersdale, 1962)مائة وخمسة عشر كتابًا للشيخ عثمان بن فودي، وبعد ذكر الباحث بللو خمسمائة وواحد وعشرين مؤلفا لعلماء نيجيريا (Ogunbiyi, 1987) مائة وعشرة التي ذكر بشير(Bashir, N.D)للشيخ بللو بن عثمان بن فودي، وواحد وخمسين للشيخ جنيد (51)، وأربعة وأربعين (44) لعبد القادر بن مصطفى، وثلاثة (3) لأسماء بنت الشيخ عثمان بن فودي، وازدهرت العربية في غرب أفريقيا بعد ذلك حتى أسّست أقسام اللغة العربية في الجامعات، والكليات التربوية في مختلف الدول، ثم لم يقصر العلماء جهدا في إنشاء المدارس القرآنية والمراكز التعليمية العربية على المستويين الإعدادي والثانوي، بالإضافة إلى تأليفات عربية كثيرة في العلوم العربية،

وأما في الشرق، فقد نبعت العربية فيه، وتطوّرت قبل دخول المستعمرين كذلك كما أقرّ ذلك تولماشيفا (Tolmachera) في مقالته بأن "كان هناك دليل على أن الثقافة العلمية دخلت في شرق أفريقيا مباشرة بعد الهجرة لكنّ ذلك كان موقوفًا على الكتابات الدينية بالعربية، فشأن العربية في الشرق شبيه بشأنها في الغرب حتى قيل بأنّ أهل الشرق لم تصل إليهم أيّ ثقافة علمية قبل العربية، وكان بينهم من لم يتثقفوا بثقافة أخرى سوى العربية حتى الوقت المعاصر"،(Sayed, 1999)

وغني عن الذكر الدول الأفريقية التي كانت العربية لغتها الرسمية كما كان الحال في الشمال، فتوجد أمثال الجزائر، ومصر، وليبيا، والمغرب، والسودان، وجنوب السودان، وتونس، ثم الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية، ويضاف إليها بعض دول الوسط التي رحّبت بها كتشاد، ثم كاميرون في بعض جامعاتها، وإن كان معظم دول الوسط والجنوب تعترف بالفرنسية أكثر،

دور اللغة العربية في تسجيل المعلومات في أفريقيا

للغة العربية في القارة الأفريقية جهود علمية كما كانت لها إسهامات طيبة في القارات الأخر، فقد أثبت التاريخ أنها قدّمت إسهامات حية لإبقاء التراث الأفريقي وتاريخه عبر القرون الغابرة، ويذكر أن الوثائق العربية بقيت لحوالي ثلاثة قرون قبل دخول الإروبيين إلى غرب أفريقيا مصادر المعلومات الوحيدة للكتّاب الإروبيّين المولعين بدراسة تاريخ جنوب السودان ووسطها، فصارت أكثر الأعمال الأدبية العربية التي ألّفها العلماء الأفارقة أو التي ألّفوها في لغاتهم بالعربية مصادرهم ومراجعهم في إعادة تسجيل التاريخ الإفريقي، ويلاحظ أن تلك الأعمال والمؤلفات أغنتهم عن غير من حيث الكفاية المعرفية والتي تدلّ على ثقافة القارة منذ عصر قديم، يقول الأستاذ الدكتور ديكي المؤرّخ: "أنا أميل كثيرا كالأستاذ المؤرّخ إلى أنّ هذا التطور الذي حصل بمساعدة الأعمال العربية والأعجمية المكتوبة بالعربية يساعد الأستاذ الباحث في مهمّته لمعرفة الأسرار التاريخية عن ماضي أفريقيا، ولا شكّ أنّ هذا دليل لعالم

المعرفة ليتبيّن لأول مرّة أن القارة الأفريقية كانت قبل دخول الإروبيّين بعيدة عن ظلمة الجهل، بل كانت منار العلم والثقافة كما تشهد على ذلك المؤلفات العربية" (Hunwik, 1965)

فمثلا في جنوب أفريقيا وفي نيجيريا على وجه التحديد كانت للعربية أثر لمّاع في ضبط الآثار التاريخية أثناء خلافة صكتو بشمال نيجيريا، وفي ذلك يقول باحث:

"،،،فكمال تواريخ النصف الأول من القرن التاسع عشر يوجد في المؤلفات العربية،،، وحتى ما يخصّ النصف الأخير منه كذلك ففي المصادر العربية يستفاد ذلك، وذلك يعني أنها حملت كثيرا من معلومات خلافة صكتو والأزمات التي حدثت في العقدين الأخيرين في القرن التاسع عشر،،، إذ لا تتمّ الدراسة والبحث عن صكتو إلا بالرجوع إلى المصادر العربية"، (Last, 1967, p. 227)

وأما عند الحديث عن أهمية الدور الكبير الذي أدّاه علماء العربية في مختلف الدراسات والبحوث التي تنصبّ على تلك المؤلفات العربية المحلية، يقول باحث:

> نستطيع أن نكوّن صورة العلاقة بين تاريخ شمال نيجيريا عبر عدد غفير من المؤلفات العربية في السجلات، والمكتبات العامة والخاصة بناء على مصادرنا المحلية الماضية، وخاصة عمّا يخصّ القادمين في الجامعات والكليات، فكلّ العلماء المعاصرين الذين يبنون على ما بناه السابقون يستطيعون أن يسردوا لنا حوادث نيجيريا الماضية فيساعدنا ذلك على كتابة تاريخنا (Hunwick, 1964)

وأما في شرق أفريقيا، فلم يخف علينا تأثير العربية في إبقاء تاريخه حيث كوّنت المؤلفات العربية والأعمال السواحلية المكتوبة بالعربية مصادر أخرى مهمة لمعرفة تاريخ دول أفريقيا الشرقية، ولتأييد ذلك يقول أحد الباحثين:

"،،، لكنّ أهمّ الوثائق لمعرفة التاريخ القديم عن شاطئ الشرق كانت مكتوبة، وكان معظمها مكتوبة في السواحلية والبرتغالية، والإنكليزية، والألمانية، والفارسية بالحروف العربية" (Sayed, 1999)

تتضحّ أهمية اللغة العربية لتاريخ أفريقيا من خلال ما سبق من حجج علماء أفريقيا، وخاصة جنوب أفريقيا لانفراد حياة القارة الأفريقية قبل الاستعمار بالعربية أو اللغات المحلية بالحروف العربية، وهذا دليل على أنّ فرضية معرفة علماء التاريخ العربية حينئذ، ويصحّ ذلك بالإشارة إلى ما قاله الأستاذ الدكتور السيد حمزة في محاضرته بأنّ اثنين من بحوث الدكتوراه في التاريخ بجامعة إبادن اشترك في الإشراف عليهما قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية مع قسم التاريخ، ثم احتجّ على علاقة أفريقيا بالعربية لتسمية مجلة جمعية علماء التاريخ في نيجيريا بـ"التاريخ" الذي هو كلمة عربية"، (Sayed, 1999, pp. 26-31)إشارة إلى شدة العلاقة بين الاثنين، فلو كان يصحّ أن يقال بأنّه لا قوم إلا بالتاريخ ولا التاريخ إلا بالحادثة، وأنه يحتفظ بالحادثة من الانقراض والاندثار بالضبط والتسجيل بواسطة

اللغة، فدور العربية إذاً من حيث تسجيل ماضي أفريقيا لإفادة حاضرها ومستقبلها واضح وضوح الشمس في كبد السماء،

ولم يقتصر أثر اللغة العربية في تطوّر العلوم وتطويرها على مر التاريخ فحسب بل تعدّاه إلى العلوم اللسانية حيث ظهر ذلك في صناعة المعاجم فتوجد ذلك عند ابن منظور الأفريقي في معجمه الكبير "لسان العرب" في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وإن كانت مؤلّفاته كثيرة في مختلف العلوم كالأدب، والشعر، والتاريخ، إلا أنّ أشهرها معجمه الذي بسّط فيه مفردات اللغة العربية،

أثر اللغة العربية في بعض لغات أفريقيا

كانت العلاقة التجارية بين ممالك أفريقيا والعالم العربي التي بدأت منذ القرن السابع الميلادي وازدهرت في القرن الحادي عشر، اللبنة الأولى التي تسربت منها الكلمات العربية إلى لغات شعوب غرب أفريقيا جراء تبادل السلع بين البائع والمشتري، وبمرور الزمن اندمجت الألفاظ العربية ببعض الكلمات المحلية ولا سيّما بعد دخول الإسلام وانتشاره في المنطقة، وتذكر بعض المصادر أن "تجار مصر والمغرب كانوا يتردّدون على الأسواق الرئيسة في أفريقيا، وذلك في العقود الأخيرة للقرن السابع الميلادي الموافق القرن الأول الهجري (أحمد،، 2016م، صفحة 11)، ومن الطبيعي أن ينقل هؤلاء التجار لغتهم إلى القارة وهذا في غربها، ولكنّ من المؤكد أنّ انتشار اللغة العربية والثقافة الإسلامية في إفريقيا جميعًا مواكب مع انتشار الإسلام فهما متلازمان حيثما يدخل الإسلام دخل معه اللغة العربية، ولا يكاد الإسلام يستقرّ في مدينة أو قارة حتى يفتح فيها الدعاة أو التجار مدرسة لتعليم القرآن الكريم، ومبادئ الدين، واللغة العربية لا يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا إلا بها، ولا غرو في ذلك إذ الأدب القومي إذا تجاوز حدوده اللغوية والوطنية إلى أدب آخر، إما أن يؤثر فيه فيفيد، أو يتأثر به فيستفيد، (حسن، 1398هـ/1978م، صفحة 33).

هذا، وقد أثّرت العربية في تلك اللغات من حيث الاقتراض اللغوي، ففي هذا المبحث يدرس الباحث تأثيرها في ثلاث من اللغات الأفريقية وهي يوربا، وسواحلية، وهوساوية كما يلي:

تأثير العربية في لغة يوربا:

لم تخل يوربا من حيث الاقتراضي اللغوي عن ألفاظ عربية كثيرة تبلغ حوالي 50% كما أشار إلى ذلك (الإلوري، 1992) واشترت هذه الألفاظ فيما لا يقلّ عن ثمان مجموعات مستقلة كما أكّد ذلك أوغنبي (Ogunbiyi، 1987) وذكره السيد حمزة وأتى بنماذج لكلّ منها، والتي تدلّ حقيقة على مدى تأثيرها في الثقافة اليورباوية ولغتها، (Sayed, 1999, pp. 26-31) وتوضيح ذلك يشير ، هذا البحث إلى بعض منها كما يلي:

مقترضات الألفاظ في الأمثال اليورباوية، منها:

Akii pin itan Aja kokan Lemomu

المعنى: لا يوزع فخذ الكلب فيقدّم للإمام،

المعنى: السيد هو الذي يقسم الدرجة، والله يقسم البركة،

Oga ni o npin ipo Olohun ni onpin Alubarika

المعنى: بدون النظر إلى الاستجابة أو عدمها، فالدعاء أنفع من اللعنة

Yio se kose Adua ya ju Epe lo

مقترضات الألفاظ في الأخبار اليومية، منها:

Olori Ile wa ni ki awon omo akeko mu ere Idaraya ni Ibada gege bi nwon se mu eko won ni Ibada

المعنى: يشجّع رئيس الدولة الطلاب على الجدية في الرياضة كجديّتهم في دراساتهم

Eye gba Riba moo

المعنى: انتهوا من أخذ الربا،

Antoka aleebu si awon towa ni Ijoba

المعنى: نشير إلى عيب رؤساء الحكومة،

مقترضات الألفاظ في شعر يوربا الحديث، منها:

Etuuba ninu Ise Ibi

المعنى: توبوا من سيّئات الأعمال،

Eda aniyan tuntun ninu Odun Tuntun

المعنى: انووا النية الجديدة في السنة الجديدة،

Mafi Epe ye kadara Omo

المعنى: لا تغيّر قدر الولد باللعنة،

Iyan Ajaju lo nfa Sababi Ibinu

المعنى: إدامة الجدال يسبّب الغضب،

مقترضات الألفاظ في الدين، منها:

إيمان: Imani

الصلاة: Asalatu

الوضوء: Aluwala

المسلم: Musulumi

الولي: Woli

الخطبة: Hutuba

المؤذن: Ladani

القلم: Kalamu

القبر: Kabari

النبي: Anebi

البركة: Alubarika

العرفة: Arafa

الوعظ: Wasi

التفسير: Taosiri

رمضان: Lamlana

المسجد: Mosalasi

مقترضات الألفاظ في الاجتماعية، منها:

أمانة:	Amona	رزق:	Arisiki
عيب:	Aleebu	عادة:	Alada
فخر:	Faari	كرامة:	Karama
أدب:	Ladabi	خبر:	Labari
سرّ:	Asiri	بتاتا:	Patapata
أنفع:	Anfani		

فالألفاظ التي تحتها خطّ في الرمز: "أ، وب، وج" أمثال: Lemomu، Alubarika، Adua، وIbada، وRiba، وAleebu، وEtuuba، وAniyan، وKadara، وSababi، كلها مقترضة من العربية ومعانيها على الترتيب هي: إمام، والبركة، والدعاء، وعبادة، وربا، والعيب، وتُوبُوا، والنية، وقدر، وسبب،

تأثير العربية في لغة هوسا

اقترضت هوسا كثيرا من الكلمات العربية حتى اقتبست طريقتها في استعمال الضمائر من حيث التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع، فضمائر: تَ كَ، كم للمذكر، وتِ كِ، وكنّ للمؤنث في العربية تأتي ضمائر في هوسا فعلاً وضميرًا على الصورة التالية:

الفعل المضارع في هوسا

العربية	هوسا			
المذكر الغائب	المؤنث الغائب	المذكر الغائب		المؤنث الغائب
يَكتب	تكتب	Tana Rubutu	Yana Rubutu	
يَذهبُ	تذهبُ	Tana Tafiya	Yana Tafiya	

الضمير مع الاسم

العربية	هوسا			
المذكر المخاطب	المؤنث المخاطب	المذكر المخاطب		المؤنث المخاطب
بَيْتُكَ	بيتُكِ	Gidanka	Gidanki	
سيارتكَ	سيارتكِ	Motanka	Motanki	

ومن قبيل المقترضات كذلك ما يوجد عند الهوساويّين في تعداد أيام الأسبوع كما يلي:

العربية	هوسا
الأحد	Lahadi
الاثنين	Litinen
الثلاثاء	Talaata
الأربعاء	Laaraba
الخميس	Alhamis
الجمعة	Jumaca
السبت	Asabari

ومنها كذلك:

الأخبار: Laabari

جريدة: Jariida

درْس Darasi

طالب: Taalibi

علم: Ilimi

معلم: Maalami

مثال: Misali

بالإضافة إلى أمثلة كثيرة ذكرها الأستاذ علي أبوبكر في كتابه (علي، د. ت.)

أثير العربية في سواحلية:

السواحلية هي لغة تنزانيا وبعض دول شرق أفريقيا الأخرى، وقد اقترضت ألفاظًا متعدّدة من العربية عن طريق الزواج والمصاهرة بين قبيلة بنتو والعرب التجار الوافدين من شمال أفريقيا، ويبلغ مستوى ذلك ثلاثين في المائة وزيادة كما يرى بكالا ((Bakala,18) (Bakala M.، 2012) ، منها ما يأتي في الجدول التالي:

السواحلية	المعنى	العربية
Dar es Salam	دار السلام	دار السلام
Mwalimu	المعلم/الأستاذ	المعلم
Asanta Sana	شكرًا جزيلاً	أحسنت صنعًا
Kitabu	الكتاب	الكتاب
Rafiki	حبيبي/صديقي	صديقي
Maktaba	مكتبة	مكتبة
Saba	العدد السابع	السبعة
Tisa	العدد التاسع	تسعة
Baridi	بارد/الثلج	نارد
Kahawa	القهوة التي تسرب	القهوة
Binti	بنت/ابنة	بنت
Suru ali	السروال الملبوس من الرجل إلى تحت السرة	السروال
Hindi	الإنسان المنسوب إلى هند	هندي/هندية

Kichina المرأة المنسوبة إلى الصين الصيني/الصينية

Kijapan الإنسان المنسوب إلى يابان ياباني/يابانية

Ki arabu المنسوب إلى عرب عربي

Ki jerumani المنسوب إلى ألمانيا الألماني/الألمانية

Kalamu ما يكتب به شيء القلم

فلأجل العلاقة الوطيدة والدور الجليل الذي قامت به العربية في القارة الأفريقية تترجّح رسميّتها في أفريقيا عامة بكونها لغة رسمية لجميع دول شمال أفريقيا، ولغة عامة في كثير من بيئات صحراء أفريقيا، وهي ليست لغة أجنبية في أفريقيا كالإنكليزية، والفرنسية، وغيرها،

هذا، فلو روعي الضوابط الأربعة التي نادى إليها أيو بانبوسي (Ayo Bangbose) كما ذكرها حمزة عبد المالك (Sayed, 1999) على الصورة التالية لاختيار اللغة الرسمية لتدركنّ رسمية العربية في القارة، وتلك الضوابط هي:

كثافة سكانية: هذا يبحث عن عدد الناس الذين ينطقون العربية كاللغة الأم، كما يبحث عن قدر مستوى كذلك،

صحة القبول وقيمته: ما مدى صحة قبول الناطقين بغيرها؟،

علاقتها مع اللغات الأخرى: فهل لتلك اللغة علاقة مع اللغات الأخرى؟،

حالة التطوّر: هذا يبحث عن وجود مستوى ضبط التهجئة والإملاء للغة أم لا،

مكانتها الأدبية: وهذا له العلاقة بكثرة وجودة الأعمال المكتوبة بتلك اللغة،

صراحة بدون أيّ شك وارتياب، فالمجال سانح للعربية بناء على تلك الضوابط أعلاه،

أولا: تتصدر العربية من حيث الكثافة السكانية، فالناطقون بها في أفريقيا كثيرون جدّا سواء باعتبارها لغة أمّ أو أجنبية،

ثانيا: كانت صحة القبول والقيمة التي أتاحت لها فرصة القبول والنطق بها في العالم الإسلامي،

ثالثا: هناك تأثيرات كثيرة للعربية في معظم لغات أفريقيا التي ناقش هذا البحث منها ثلاثة،

رابعًا: هناك أعمال ومؤلّفات عربية أسهمت دورًا كبيرًا في كتابة لغات أفريقيا،

خامسا: وقد ناقش هذا البحث عدة أعمال أدبية عربية حية في العالم الإسلامي في آسيا، وأفريقيا، والعالم بحصره،

سادسًا: الاعتراف الكامل بعالمية العربية لكونها إحدى لغات الأمم المتحدة الرسمية الست،

سابعًا: لكونها اللغة الأفريقية المحلية الوحيدة بين لغات جمعية الدول الأفريقية التي تنتج البترول (APPA)،

ثامناً: ولكونها اللغة الأفريقية المحلية الوحيدة كذلك بين لغات مؤسّسة الاتحاد الأفريقي الثلاث الرسمية،

تاسعًا: عدم إمكانية إخراج مقترضات الألفاظ من تلك اللغات الأفريقية الأخرى، والتي تعني معنى سيادتها في أفريقيا،

الخاتمة

حاول هذا البحث دراسة أهلية الرسمية للغة العربية في أفريقيا عن طريق البحث عن علاقتها بالقارة وآثارها الإيجابية في تكوين هويتها الدولة وتطوّرها بالاعتناء بعدة نواحي تقديم إسهاماتها فيها دارسًا أساسًا مسوّغات تلك العلاقة والوضع الذي انطبعت عليه من حالة التطوّر، وصحة القبول وقيمته، والمكانة الأدبية والتي كانت نتيجتها الكثافة السكانية،

هذا، وقد ألفت البحث أنظار المعنيّين من أبناء القارة والكتاب المفكرين إلى تعمق الفكرة في اختيار اللغة الرسمية وإعادة قراءة تاريخ القارة عبر العصور والقرون الأولى قبل دخول المستعمرين وبداية سطوتهم الاستعمارية لمعرفة مدى فعالة العربية وتأثيرها في لغاتهم المحلية وثقافتهم، وقد اتبع الباحثان المنهج التاريخي الوصفي في عرض مناقشتهما لإثبات الحقائق التاريخية عن موضوع البحث، بناءً على ذلك حصل الباحثان عقب دراستهما على بعض نتائج، وهي:

إن القارة الأفريقية عامة لم تكن على علم بثقافة علمية كتابة أو قراءة قبل العربية،

إن للعربية تأثيرات كبيرة في معظم لغات أفريقيا كالاقتراض اللغوي الذي لا يمكن مسخه في تلك اللغات،

إن اللغة العربية هي اللغة الأفريقية المحلية الوحيدة بين اللغات العالمية الثلاث السائدة،

إن اللغة السواحلية المختارة لغة رسمية في إفريقيا حاليًا اقترضت من العربية حوالي 30%، وهذا دليل على عدم كماليتها الاستقلالية،

إنه لولا العربية لضاع تاريخ معظم الدول الأفريقية، وخاصة الجنوبية منها والشرقية لما قامت به من تسجيل معلوماتها التاريخية،

إن الأولى اختيار العربية لغة رسمية في أفريقيا إذا تُؤمّلت الضوابط الخمسة التي اقترحها بنبوسي سابقًا،

ويقترح الباحثان أن:

يعيد كتّاب أفريقيا ومفكروها لجنة يتكوّن أعضاؤها من علماء التاريخ، والتربية، واللغة العربية، وعلم السياسة، والعلاقات الدولية للمناقشة حول إعادة النظر في اختيار اللغة الرسمية لأفريقيا،

أن يوظفوا الضوابط الخمسة التي اقترحها بنبوسي سابقًا بين العوامل المؤدية إلى نتيجتهم النهائية

الهوامش

Abubakre, R.D. (2001). Survival of Arabic Terms in Modern Science. In E. Odumuyiwa, *Religion Science and Culture* . National Association of Study of Religions (NASR).

Abubakre, R. D. (2002). *Survival of Arabic in Difficult Terrains, The Fifty- Eight.* Ilorin: Unilorin Library and Publication.

Bakala, M. H. (2012). *Arabic Culture through Its Language and Literature.* London: Kegan Paul.

Bashir, U. (N.D). *Qaimati Asma'u Al-Makhtutat Al-Arabiyyah Li cUlamaci.* Sokoto: History Bureau.

Bidmus, K. (1972). *A Literary Appraisal of the Arabic Writing of the Yoruba Ulama.* Ibadan: Unpublished M.A Dissertation, University of Ibadan.

Biva, A.D. and Hiskett, M. (1962). .The Arabic Literature of Nigeria to 1804: A Provisional Account. *Bulletin of the School of Orientalist and African Studies, 22*.

Bovill, E. (1958). *The Golden Trade of the Moors.* London: New York : Oxford University Press.

Fage, J. (1958). *An Atlas of African History.* Cambridge: E. Arnold,.

Hiskett, M. (1984). *The Development of Islam in West Africa.* London & New York.

Hiskett, M. (1984). *The Development of Islam in West Africa.* London & New York: Longman.

Hunwick, J. (1964). The Influence of Arabic in West Africa", Transaction of the Historical Society of Ghana. *Transactions of the Historical Society of Ghana, 7*, 24-42.

Hunwik, J. (1965). Report on a Seminar on The Teaching of Arabic in Nigeria " Ibadan and Kano . In J. e. Hunwick, *Arabic Literature of Africa Vol . 2 The Writings of Central Sudanic Africa* . Nigeria.

Ibid & R.C.C Law. (1977). *The Oyo empire 1836, A West African Imperial in the Era of Atlantic Slave Trade* . London: OUP London.

Kersdale, W. (1962). *Catalogue of the Arabic Manuscripts in the University Library,.* Ibadan: University of Ibadan, Nigeria.

Last, D. (1967). *The Sokoto Caliphate,.* London: Longman, Green and Covtal.

Levtzion, N. (1979). "Abd-llah b Yasin and the Al-Moravids" Vol. I,. In J. (. Willis, *Studies in West African Islamic History* (Vol. 1). London: The Cultivators of Islam, (Frank Cass, London).

Lewis, I. (1966). *Islam in Trophical Africa,.* London: (OUP, London)ʻ.

Moon, J. S. (1984). *Sweetman's Islam and Christian theology.* Birmingham (Britain): Centre for the Study of Islam and Christian-Muslim Relations.

Ogunbiyi, I. A. (1987). *Of Non-Muslim Cultivators and Propagators of the Arabic Language, Inaugural Lecture, .* Lagos: Lagos State University. (LASU).

Sayed, M. (1999). *Arabic, The Muslim Prayers and Beyond.* Ibadan: University of Ibadam.

Tolmachera, M. (1978). The Arabic Influence on Swahili Literature: A Historian's View. *Journal of African Studies, 5*(2).

أحمد، عمر بشير نيجيريا،. ((2016م)). *المدخل إلى الأدب العربي في غرب أفريقيا*. ميدغري،: مركز التعليم عن بعد، جامعة ميدوفوري.

الإلوري, آ. ع .(1992) .*أصل قبائل يوربا* .، أجيجي–نيجيريا: مطبعة الثقافة الإسلامية.

حسن, ح. ج1398) .هـ/1978م .(*الأدب المقارن* .القاهرة: دار الكباعة المحمدية.

سير , أ. ب1999) .م .(*أفريقيا، كتب القرن الحادي والعشرين* .ردمك 0–7613–1367–2.

صالح1976) .م .(*تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم برنو،* .القاهرة: مصطفى البابي الحلبي.

علي, أ) .د. ت .(.*الثقافة العربية في نيجيريا،* .بيروت: مؤسّسة عبد الحفيظ البساط.

عمر بشير أحمد،. (2016م). ، *المدخل إلى الأدب العربي في غرب أفريقيا، نيجيريا،*. ميدوغزري: مركز التعليم عن بعد، جامعة ميدغري،.

غلادنثي،, س. ش1414) .هـ/1993م .(*حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من سنة 1804 الى سنة 1966م* .(Vol. 2)القاهرة: المكتبة الأفريقية.